

هل يقيّم الطلابُ المُعلِّمينَ ؟ أندي عبد الحمزة

مدرس بجامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية منتدب بجامعة حسن الدين الحكومية
janshanhamzah@gmail.com

مستخلص البحث : من الحقائق الواضحة بذاتها أن المعلم يعد أحد المتغيرات الهامة في عملية التعلم ، وبالتالي فإن معرفة كفاية المعلم لها أهمية خاصة . مما جعلها تحظى باهتمام الباحثين لستوات طويلة ، إلا أن معظم هذه الاهتمامات يدخل في باب التأمل النظري أكثر من البحث التجريبي . ومع ذلك يوجد قدر كاف من نتائج البحث يفيدنا في أغراض تقويم المعلم .

كلمات المفتاح : التقويم ، الطلاب ، المعلمين .

التقويم هو عملية استخدام البيانات أو المعلومات التي يوفرها القياس بهدف إصدار أحكام أو قرارات تتعلق بالسبل المختلفة للعمل التربوي ، أو بالتحقق من مدى الاتفاق بين الأداء والأهداف ، أو بتحديد مرغوبة وضع أو مشكلة ما . ويتضح من هذا التعريف أن التقويم عملية ثلاثية المراحل ، حيث تتطلب الحصول المعلومات بالقياس ، ووضع محكات لتحديد قيمة المعلومات ، واتخاذ الحكم أو القرار بشأن العلاقة بين نتائج القياس والمحك .¹ التقويم يركز على جمع المعلومات والتأليف بينهما . إن لفظ التقويم يشير عادة إلى عملية إصدار الأحكام ، وتحديد قيمة أو اتخاذ قرار عن جدارة . لكي تحقق أدوات القياس المتنوعة ، أهداف القياس النفسية والتبوية على نحو سليم ، لا بد من اتصاف هذه الأدوات بثلاث خصائص هامة هي : الصدق Validity والثبات Reliability وقابلية الاستعمال Usability.²

يقول علي أحمد مذكور إن التقويم ليس ناسطا بسيطا ، ولكنه عملية معقدة تحتوي على الكثير من الأنشطة وتسير في عدة خطوات :

1. تحديد الأهداف العامة والخاصة التي هي محكات عملية التقويم .
2. تحدي المواقف التي يمكننا أن نجمع منها المعلومات المتصلة بالأهداف .
3. تحديد كمية ونوعية المعلومات التي تحتاج إليها .
4. اختيار ثم تصميم الأساليب وأدوات التقويم المناسبة .
5. جمع البيانات بواسطة الأدوات والأساليب المختارة ومن المواقف التي سبق تحديدها .
6. تصنيف البيانات والمعلومات عن طريق تحليلها وتسجيلها في صورة يمكن منها الاستدلال والاستنتاج ويمكن الاستعانة في هذه الخطوة بالأساليب الإحصائية والتوضيحية المختلفة .

¹ ينظر إلى عبد المجيد نشواتي ، علم النفس التربوي ، مطبعة دار الفرقان ، الطبعة الثالثة ، الأردن ، ص 600 . ينظر أيضا إلى جابر عبد الحميد . جابر ، التدريس والتعلم ، الأسس النظرية الاستراتيجية والفاعلية ، مطبعة دار الفكري العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ص 260 .

² ينظر المرجع السابق ، ص 605 .

7. تفسير البيانات في صورة تتضح بها المتغيرات والبدائل المتاحة تمهيدا للوصول منها إلى حكم أو قرار .
8. إصدار الحكم أو القرار .
9. متابعة تنفيذ الحكم أو القرار .³

كثير من الناس الذين لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالعملية التعليمية يتساءلون عن إمكانية الاستعانة بالطلاب في تقويم العملية التعليمية ، بل إن بعضهم وخصوصا المديرين يلجؤون في أحيان كثيرة إلى آراء الطلاب تجاه معلمهم ، مع أنه لم يأت من الناحية الرسمية تأكيد ولا حتى نفي في مسألة الاستعانة بالطلاب في تقويم المعلمين . وعلى مستوى الممارسة فإن استجابة المديرين والمشرفين تجاه شكاوى الطلاب المتكررة من أحد المعلمين مختلفة وليس لها تنظيم معين . بل إن تلك الاستجابات يتسع مداها من الإيجابية التامة (تصديق تام للطالب) إلى السلبية التامة (تكذيب وكبت لدعاوى الطلاب) ، تبعاً لتوجهات المدير ومكانة المعلم ووجهاته أو طبيعة المادة التي يدرسها ذلك المعلم أو عوامل أخرى .⁴

وهذا التنوع في التعامل مع أحكام الطلاب ووجهات نظرهم من قبل المربين كثيرا ما يقود إلى إخراج أولئك المربين عن دائرة الموضوعية والتجرد ، ومن ثم الحكم بخروج الأحكام المترتبة عليها من دائرة الثبات ، فما هو مرفوض هنا ومرحب به هناك .

وانطلاقاً من توجه الوزارة نحو اعتماد الآليات الموضوعية في تناول القضايا التربوية . ومنها بالتأكيد مسألة تقويم الطالب للمعلم ، ومن خلال خبر الكاتب في هذا المجال ومنذ أيامي الأولى لعملي في مهنة التدريس تجمع لدي كم من البيانات أحب هنا أن أقدمها عبر منبر مجلة *Journal of Islamic Civilization in Southeast Asia (JICSA)* .

فلقد استعنت بأراء الطلاب في تقويم أساليب تعاملي معهم ومع المادة الدراسية داخل الفصل وخرجت من تلك الاستفتاءات غير الرسمية (الودية) بكم كبير من الفوائد النفسية والتربوية لي ولطلابي ، وتصب في خدمة العملية التعليمية .

لقد عرفت من تلك الاستفتاءات نقطة الضعف الكبرى التي تعتبر عائقاً يجب إزالته أما إنجاز اتصال فاعل بيني وبين طلابي . كما تبين لي من تلك الاستفتاءات جوانب نفسية تمثلت في تحديد نوع الاتجاه السائد لدى الطلاب نحو المادة ونحوي شخصياً . وهو ما مكنني تحديد آليات للهدم والبناء (هدم الاتجاه السلبي وبناء الاتجاه الإيجابي) .

إن المدرس هو مفتاح النجاح أو الفشل بالنسبة للمنهج . ومن هنا فإن تقويمه يصبح أمراً ضرورياً في أي عملية يقصد منها تحسين المنهج وتطويره . والتقويم الذي نقصده ليس هو ذلك التقويم الذي يهدف إلى إعطاء المدرس تقديراً سنوياً يحفظ في ملفه لحين الحاجة إليه عندما تدعو الضرورة . ولكن التقويم الذي نقصده هو محاولة التعرف على نواحي القوة والضعف في عملية التدريس وخاصة ما يرتبط منها بالمدرس سواء كان ذلك من ناحية صفاته الشخصية أو المهنية .⁵

3 . ينظر إلى علي مذكور ، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 2001 م ، ص 261 .
4 ينظر إلى صالح بن عبد العزيز الزهراني ، هل يُقوّمُ الطّالِبُ المُعلِّمَينَ ؟ مجلة المعرفة ، العدد 79 شوال 1422 هـ . يناير 2002 م ، ص 102 .

مكنتني تلك الاستفتاءات أيضا من تحديد نوع الشذوذ (التطرف) العاطفي حبا (أو كرها) والاستهتار أو الخوف المرضي من المادة وهوما ساعد في تخفيف تلك التباينات النفسية عند أفراد الفصل ، بحيث يبدو مجتمع الفصل أكثر تجانسا . الأمر الذي ساهم كثيرا في نقل الطلاب في أثناء الدرس من فكرة إلى أخرى بمشاركة عدد كبير من الطلاب .

أخيرا ساعدتني تلك الاستفتاءات في كسر حاجز الرسمية بيني وبين الطلاب بحيث شرع الطلاب بعدها في الاتصال اللاصفي بيني وبينهم بروح من الود والصراحة والنصح . الأمر الذي أسفر عن إمكانية بناء أجواء حميمة في أثناء الدرس مهما كانت صعوبة الموضوع أو طوله .

وعن أساليب تعامل الإدارات المدرسية مع آراء الطلاب فقد مورست عملية الاستفتاء في أكثر من إدارة وتباينت مواقف المديرين تجاه تلك الاستفتاءات فنزع أحدهم إلى إخفاء جميع المعلومات التي أفاد بها الطلاب عن المعلم (ولا أدري لماذا لجأ إلى جمع تلك المعلومات؟) . أما الآخر فكان يجمعها ويصنفها ويحدد ما ينبغي تركه ومناقشته وكان لذلك الحوار النصحي الإرشادي أكبر الأثر في تحسين موقفي وزيادة نشاطي ورضا طلابي وشعورهم بأن المدرسة أسرة واحدة لا تسمع إدارتها من إذن واحدة وإنما تسمع من ألف أذن وتفهم ألف لغة وتستخدم ذلك كله في إنجاح العملية التعليمية ، فأنى لي بذلك الجو وأنى بمثل ذلك المدير .

أما فئة أخرى من المديرين فإنهم يلجؤون إلى تهميش إفادات الطلاب عن معلمهم معتقدين أن أي حوار مصدره أو أساسه شهادة الطلاب وإفادتهم عن المعلم هو إهانة للمعلم وهو ما يبقى على سلبيات المعلم ويراكم لدى الإدارة توجهات سلبية نحو المعلم الذي ربما لا يمارس إجراءات التقويم الذاتي . وربما لعلاقة المعلم بالمدير تقتل العملية التربوية التي كثيرا ما تموت ولكن دون أن تخلف جثة تقول لمن حولها : إني مت . إنها تموت بصمت وتدمرنا بموتها بصمت .

وعودا إلى بياناتي التي لممتها عبر السنين التي تشير إلى أن استخدام إفادات الطلاب في تقويم المعلم ليست بيانات نقية بل هي بيانات مشوبة ومشوشة تخفي في طياتها الحقيقة ، ولكنها مجزأة متناثرة مشوهة تحتاج إلى إعادة بناء ، ومن تلك المشوشات تأثر الطلاب بالنوازع والرغبات المادية ، مسألة الدرجات وكم الواجبات ومستوى خطاب المعلم داخل الحصّة ، فكلما كان الأستاذ كريما في درجاته غض الطلاب عن سيئاته ، وكلما المثل كثير الواجبات والأعمال المنزلية زادت شدة الانتقادات وكميتها ، وكما أنه كلما تندى مستوى الخطاب التدريسي حول مستوى التذكر مثلا زاد حب الطلاب للمادة وغضوا طرفهم عن عيوب المعلم . كما أن إفادات الممتازين تختلف عن إفادات الطلاب المهملين .

إن صدق تقديرات التلاميذ يعتبر مشكلة في ذاته . فقد لوحظ أن أئ الهامة يلعب دورا كبيرا فيها . ومع ذلك فإن لها قيمة كتعبير عن شعور التلاميذ والطلاب إزاء معلمهم أو المقررات التي يدرسونها . وقد درس الباحثون العلاقة بين تقديرات التلاميذ للمعلمين ومتغيرات الجنس والعمر والمستوى الدراسي

للتلاميذ والدرجات التي يحصلون عليها من هؤلاء المعلمين ، إلا أن النتائج ليست متسقة وتحتاج إلى مزيد من البحث .⁶

وضمن أحد الاستفتاءات التي أجريتها على الطلاب على أفضل معلم وأسوأ معلم مر بهم في المراحل الماضية مع إلحاق تقويم لوجهة نظرهم هل هي عادلة أم غير عادلة تجاه هذا المعلم أو ذاك ، يبحث يكتب الطالب شبيها بالجمل التالية : أفضل معلم أحبه هو فلان (اختياري) مدرس المادة الفلانية في عام كذا لأنه يتسم بكذا وكذا (الحكم عادل أو غير عادل) وبتحليل نتائج هذا الاستبيان تبين لي ظهور مشاعر الكره الشديد القديمة جدا (ترجع إلى الصف الأول الابتدائي مع أن الطالب في الثالث الثانوي) نتيجة سلوك قد لا يكون المعلم قاصدا له أو ملتزما بممارسته .

مثل كبت إيجابية من الطالب أو إظهاره للتحيز غي المقصود تجاه طالب معين .

أو كلمة غير مقصودة قالها أو تجهم عفوي في أثناء شرحه أو معاقبة الطالب دون التأكد من أنه صاحب الخطأ أو تفضيل المعلم بعض الطلاب على بعض دون معيار عادل .

وفي الجانب الآخر أن مشاعر الود والحب الذي لم ينسه الطالب كانت نتيجة مواقف تربوية بسيطة في تركيبها سهلة في أدائها ، مثل عدم إضاعة الحصة ، وعدم التصلب في المواقف (المرونة)، وبالتأكيد تجنب المواقف السلبية مهما دقت تدنت في عين المعلم .

وجانب آخر من سلبيات الاستعانة بالطلاب في تقويم المعلم أن نسبة غير قليلة من الطلاب تقع تحت تأثير رد فعل العقوبة المدرسية المطبقة عليه حتى مسألة إخفاقه في الاختبار (مع علم الطالب بضعف مستواه) فضلا عن تطبيق الأنظمة في حقه .

للدكتورة آمال صادق رأي في هذا قائلة : سيبطل موضوع تقويم المعلم مثارا للخلاف ما لم يخرج من هذا الباب الضيق إلى الآفاق الرحبة التي يتم فيها تحديد نواتج التعلم المتوقعة من المتعلمين . وفي هذه الحالة يمكن اقتراح محكات بديلة يذكر منها مكنيل وبوبام (1973) ما يلي :⁷

1. خطط التعاقد

من البدائل الحديثة في تقويم كفاءة المعلم ما يسمى خطط التعاقد والتي تعتمد على أن غايات التدريس وأهداف التربية من خطط يجب الاتفاق عليها مقدما قبل الحكم على كفاءة المعلم . وجوهر هذه الطريقة يتضمن إعداد مجموعة من الأهداف التعليمية المختارة بعناية بالنسبة إلى التلاميذ ثم يتفق المجهون والمعلمون مقدما على ما يتم قبوله كدليل على نجاح المعلم في تعديل سلوك التلاميذ وتحقيق هذه الأهداف سواء كانت معرفية أو وجدانية أو حركية ، وتجمع الشواهد والأدلة للحكم على مدى إحرار المتعلمين لهذه الأهداف المحددة وعلى مدى حدوث نواتج للتعلم لم تكن في الحسبان . وهذه الطريقة لا تستبعد استخدام الطرق التحليلية في الملاحظة إلا أنها لا تتعدى حدود أن تكون معينات في توجيه المقومين عند التسجيل الوصفي لنشاط التدريس وفي اقتراح أساليب تدريسية بديلة .

2. اختبارات الأداء

⁶ . ينظر إلى آمال صادق وفؤاد أبو حطب ، ((علم النفس التربوي)) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2000 ، ص 790 .
⁷ . ينظر إلى المرجع السابق ، ص 793 794 .

ظهر الاهتمام ببناء اختبارات تقيس القدرة على التدريس تتاح فيها المعلمين فرص متكافئة للنجاح أو الفشل . وقد ارتاد هذا الاتجاه بوبام منذ عام 1967 في بحوثه التي كان يعطي فيها لمجموعة من المعلمين هدفا أو عدة أهداف متطابقة وعينة من المقاييس المعتمدة على الأهداف لتطبيقها على التلاميذ بعد التدريس . وقد تكون هذه الأهداف معرفية أو أو وجدانية أو حركية . وقد تعطي للمعلمين مواد مرجعية لتحقيق هذه الأهداف ، وتترك للمعلم تماما حرية اختيار تكنيكات التدريس وأساليبه . وبعبارة أخرى لا تقدم للمعلم إلا الغايات ، أما الوسائل فتترك له كلية .

مما سبق يمكن الخروج بالملاحظات التالية عن إمكانية الاستعانة بالطلاب في تقويم المعلم :

1. لا تؤخذ عند التقويم آراء الطلاب التي لها صفة انفعالية والمتصلة بنتائج الاختبارات ، أو مواقف الضبط والتوجيه ، أو الانطباع العام السطحي عن المعلم .
2. يؤخذ بأحكام الطلاب ذات السمة الموضوعية المتصلة بالأراء العلمي للمعلم مثل : وضوح الشرح ، استغلال وقت الحصة ، قدرة المعلم على إيصال وتبسيط الأفكار ، واستعداد المعلم لإجابة تساؤلات الطلاب المطروحة .
3. يؤخذ بأحكام الطلاب عن المعلم مع نهاية الفصل الدراسي ؛ لأن آراء الطلاب تنتشوش كثيرا بعد مرور الطلاب بخبرة الاختبار النصفية .
4. لا يكفي بأحكام الطلاب من عام دراسي واحد بل يفضل أن يعتمد التقويم على الآراء المتراكمة من أكثر من دفعة وأكثر من مرحلة .
5. يجب أن يكون المعلم على علم تام بقيمة مواقف طلابه منه ، وأن عاقبة تلك الآراء ليست مباشرة عليه وإنما لا تمثل تهديدا لأمنه الوظيفي أو خرقا لكرامته المهنية . بل تهدف إلى خدمة العملية التعليمية التي يعتبر الطالب محورا أساسا فيها .

المراجع

- عبد المجيد نشواتي ، علم النفس التربوي ، مطبعة دار الفرقان ، الطبعة الثالثة ، الأردن .
جابر عبد الحميد . جابر ، التدريس والتعلم ، الأسس النظرية الاستراتيجية والفاعلية ، مطبعة دار الفكري العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة .
صالح بن عبد العزيز الزهراني ، هل يُقَوِّمُ الطُّلَّابُ المُعَلِّمِينَ ؟ ، مجلة المعرفة ، العدد 79 شوال 1422 هـ يناير 2002 م .
محمد صلاح الدين علي مجاور وفتحي عبد المقصود الديب ، ((المنهج المدرسي أسسه وتطبيقاته التربوية)) ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1997 م .

آمال صادق وفؤاد أبو حطب ، ((علم النفس التربوي)) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2000 م .
علي مدكور ، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 2001 م ،